وقيل: إنّه كان في حروب الشام يهتف كلّما تقدّم الروم: « إيه بني الأصفر ! »، فإذا تراجعوا عاد فقال: « ويل لبني الأصفر ! »([131]). * * * وقد تألّفه النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) ما استطاع قبل فتح مكّة وبعد فتحها، فتزوّج بنته أُمّ حبيبة([132]) قبل الفتح، وجعل بيته بعد الفتح حرماً « من دخله فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن »([133])، وأقامه على رأس المؤلّفة قلوبهم الذين يزاد لهم في العطاء عسى أن يذهب ما في نفوسهم من الكراهة لغلبة الإسلام. ومع هذا كان المسلمون يوجسون منه، فلا ينظرون إليه ولا يقاعدونه، حتّى برم بذلك وأحبّ أن يمسح ما بصدورهم من قبله.. فتوسّل إلى النبي أن يجعل معاوية كاتباً بين يديه وأن يأمره ليقاتل الكفّار كما كان يقاتل المسلمين. ثمّ قبض النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) ونجم الخلاف على مبايعة الخليفة بعده بين المهاجرين والأنصار وبين بعض الصحابة من جهة أُخرى، فاشرأب أبو سفيان إلى هذه الفتنة، وخيّل إليه أنّه مصيب بين فتوقها ثغرة ينفذ منها إلى